

المحرضين وما شابهه » . كذلك « فتحت ملفات مماثلة للمدن [العربية] في البلد » وتم القيام « بأعمال استخبارات واسعة بشأن بعض الأشخاص ، الذين ظهر أنهم سيكونوا بين زعماء المستقبل » (ص ٢٤٧) ، بما في ذلك جمع التفاصيل عن أماكن سكنائهم ، تسليحتهم ، تحركاتهم ، أماكن عملهم وطريقة الوصول إلى أماكن نومهم . وفي مرحلة لاحقة ، طرأ تغيير جذري على نشاط شاي عندما أدرجت التראה الكاملة للصحافة العربية ، التي أصبحت مصدراً غير مخيب للآمال لجمع المعلومات والتعرف على العرب في البلد ، « وكذلك » بذل جهد كبير للاتصال مع مخبرين عرب من بين أعلى المستويات الاجتماعية » (ص ٢٤٧ - ٢٤٨) . ومع نهاية سنوات الحرب [العالمية] وصلت الدائرة العربية ، بصورة أو بأخرى ، إلى مستوى لأم متطلبات منظمة الهاغاناه » (ص ٢٤٨) .

لم يكن العمل في مجال المخابرات بين العرب والنشاط الوحيد الذي قامت به الهاغاناه خلال تلك الفترة ، إذ أضيف إليه أيضاً - كما أشرنا - نشاط مكثف في وضع الخطط العديدة ، الهجومية والدفاعية، في ضوء الأوضاع السياسية والعسكرية التي سادت المنطقة وقتها . ويكشف الكتاب النقاب على أن الهاغاناه وضعت أول خطة عسكرية شاملة موضع التنفيذ في نيسان ١٩٤١ ، وهي الخطة التي أطلق عليها اسم « الخطة أ » ، ولمخصصها تقسيم قوات المنظمة إلى قسمين ، يتولى القيام بأعمال الدفاع الثابت والمتحرك من المستوطنات والمستوطنين اليهود في حالة نشوب اضطرابات في البلد بين العرب واليهود (ص ٢٣٥ - ٢٣٧) . وفي أيار ١٩٤٢ أدخلت تعديلات طفيفة على تلك الخطة ، وتغير اسمها إلى « الخطة ١/١ » وبقيت سارية المفعول حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . ولكن في سنة ١٩٤٣ بدأ أعداد خطة ثانية ، « الخطة ب » ، تحت « تأثير النجاح الفائق لوحداث البلماح » (ص ٢٣٩) ولكن هذه الخطة لم تذهب بعيداً عن تلك التي سبقتها ، واكتفت بأن أضافت إليها مبدأ « الدفاع الهجومي » ، أي « تدمير قوة العدو المسلحة قبل أن يصل إلى أهدافه » (ص ٢٣٩) وأقرت خلال أيلول ١٩٤٥ ، ولكن انتهاء الحرب العالمية الثانية وتغيير الأوضاع السياسية عقب ذلك ، جعل الخطة غير ملائمة

نقل العمل السياسي من الحركة الصهيونية العالمية إلى الييشوف [المستوطنين اليهود] في البلد ، مما منحهم قدرة وحيوية لم يعرفوا مثلها خلال كل السنوات السابقة ، حدث بين الجماهير العربية في البلد تطور عكسي ، فانتقل مركز نشاطهم السياسي خلال سنوات الحرب إلى هيئة سياسية موجودة خارج بلدهم [الجامعة العربية] (ص ١١٨ - ١١٩) . ويضيف في مكان آخر (ص ١١٩٦) أنه بينما كان « اليهود يحضرون المهاجرين غير الشرعيين ، يهاجمون محطات الشرطة ، يمتقلون ويحاكمون بجماهيرهم ، كان العرب يحافظون على هدوئهم » . وهو « الهدوء » الذي كان أحد أسباب النكبة التي حلت بهم سنة ١٩٤٨ .

أما بالنسبة للاحتياطيات التي اتخذتها الهاغاناه في المجال العربي ، فيبدو أن المنظمة وقادتها تعلموا جيداً دروس الأخطاء التي ارتكبوها أثناء تعاملهم مع العرب في السابق ، خاصة خلال الاضطرابات ، وحصروا غشلمهم في شقين : الأول عدم توفر المعلومات لديهم عما يجري بين العرب والثاني انعدام الخطط الواضحة للعمل بموجبها في حالة الضرورة . وقد نشطت الهاغاناه ، بشكل فعال ، للعمل على سد النقص في هذين المجالين . ففي حزيران ١٩٤٠ افتتحت دائرة عربية في مخابرات الهاغاناه (شاي) ، برئاسة عزرا دتئين ، وكلفت بتأسيس أرشيف للمعلومات عن « التركيب [الاجتماعي] للمدن والقرى العربية في البلد » ، بالإضافة إلى جمع المعلومات عن « مدى اشتراك كل منها في حوادث ١٩٣٦ - ١٩٣٩ » وكذلك بإقامة « شبكة من المخبرين العرب » (ص ٢٤٤) . غير أنه بعد أن لوحظ أن عمل الدائرة لم يتقدم بما فيه الكفاية ، كلف يعقوب شمعوني ، أحد المستشرقين اليهود البارزين وقتها (مؤلف كتاب « عرب فلسطين » ، تل أبيب ، عام عوفيد ، ١٩٤٧) بتولي رئاسة الدائرة « وبدأ التحسين في عملها » (ص ٢٤٧) . فاستمر النشاط في جمع المواد « للفتات القرى » ، وبعد ذلك كلفت وحدات الاستطلاع التابعة للبلماح بالاهتمام بالتواحي الطوبوغرافية لتلك القرى (ص ٤٤٧) ، وبالإضافة إلى ذلك « أقيم أرشيف عربي منظم مع بطاقات ، جمعت فيه التفاصيل الشخصية عن الزعماء العرب القطريين والمحليين ، قسادة العصابات ،